



مكتبة أنفار
للتنفيذ والدراهمات العلمية



الزُّجَّاجُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ



تأليف

عبد الرزاق بن عبد الرحمن الحسين البصري

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَرَأَ

تمّ تنسيق هذه المادة ومراجعتها في



مكتب أنقار
للتنفيذ والدراة األمفة



الزُّعَامُ وَالزِّيَادَةُ بِرَدِّ



تأليف

عبد الرزاق بن عبد الرحمن بن الحسن البصري

الطبعة الأولى

٢٠٢١ / ١٤٤٢

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربَّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على
أشرفِ الأنبياءِ وخاتمِ المرسلين، نبينا محمدٍ، وعلى
آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أنا بعد:

فإنَّ اللهَ ﷻ أمرَ عباده بالدعاءِ ووَعَدَهُم بِالْإِجَابَةِ
فِي آيٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ ﷻ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

وقال **عَلَيْكَ**: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥) وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ
خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿الأعراف: ٥٥-٥٦﴾،
والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقد رَغِبَ اللهُ **عَلَيْكَ** عبادَهُ بالدُّعاءِ وحثَّهم عليه مع
غناه عنهم وعن دعائهم، كما قال **عَلَيْكَ** في الحديث
القدسي: «يا عبادي إنكم لن تبُلُّوا ضُرِّي فتضرُّوني، ولن
تبُلُّوا نفعي فتتفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم
ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما
نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيتُ
كُلَّ إنسانٍ مسألتَهُ، ما نقص ذلك ممَّا عندي إلا كما
ينقصُ المِخيطُ إذا دُخِلَ البحرُ...» الحديث^(١).

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم: (٢٥٧٧).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

وهو **عَلَيْكَ** مع ذلك يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ، بَلْ كَلَّمَا عَظُمَتْ عِنَايَةُ الْعَبْدِ بِالدُّعَاءِ عَظُمَ حَظُّهُ وَنَصِيبُهُ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ **عَلَيْكَ** لَهُ، حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ **ﷺ**: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ»^(١).

وقال **ﷺ**: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(٢).

الله يغضبُ إن تركت سؤاله

وَبَنِي آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

فَرُبُّ الْعَالَمِينَ **ﷻ** يُحِبُّ السَّائِلِينَ، وَوَعَدَهُمْ بِأَنْ يُجِيبَ دُعَاءَهُمْ، وَأَنْ يُحَقِّقَ رَجَاءَهُمْ، وَأَنْ يُعْطِيَهُمْ سُؤْلَهُمْ؛ إِذَا تَوَفَّرَ فِي دَعَائِهِمُ الشَّرُوطُ الشَّرْعِيَّةُ، وَانْتَفَتِ الْمَوَانِعُ، فَقَدْ دَلَّتْ نصوصٌ عديدةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» رقم: (٣٣٧٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم: (٥٣٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه» رقم: (٣٣٧٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم: (٢٤١٨).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

رسول الله ﷺ أَنَّ الدُّعَاءَ الْمُسْتَجَابَ لَهُ ضَوَابِطُ يَنْبَغِي لِلدَّاعِي أَنْ يَحْرَسَ عَلَيْهَا عِنْدَ دُعَائِهِ، وَكَذَلِكَ هُنَاكَ مَوَانِعَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْهَا؛ لِئَلَّا يُرَدَّ دُعَاؤُهُ.

وقد جمع العلامةُ الإمامُ ابنُ القيم رحمته الله خلاصةً بديعةً حوتُ خيراً عظيماً، بَيَّنَّ فِيهَا رحمته الله أَهَمَّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَنِيَ بِهِ الدَّاعُونَ فِي دُعَائِهِمْ اللَّهَ تعالى، ثُمَّ خَتَمَ كَلَامَهُ بَعْدَ سَرْدِهِ لِهَذِهِ الضُّوَابِطِ فِي الدُّعَاءِ بِقَوْلِهِ: «فَإِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يَكَادُ يُرَدُّ أَبَدًا»^(١).

فَكَانَ مِنَ النَّصِيحِ وَالْخَيْرِ نَشْرُ كَلَامِهِ مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ بِمَا يُوَضِّحُ مَقَاصِدَهُ، وَيُجَلِّي فَوَائِدَهُ، وَسَاسِرُدُّ فِي الْبَدَايَةِ كَلَامَهُ تَامًا.

قال الإمام ابن القيم رحمته الله:

«وَإِذَا جَمَعَ مَعَ الدُّعَاءِ:

* حُضُورَ الْقَلْبِ وَجَمْعِيَّتَهُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ.

(١) «الجواب الكافي» (١٧).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

* وصادفَ وقتًا مِنْ أوقاتِ الإِجابةِ السَّتَّةِ، وهي:

الثُّلُثُ الأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَعِنْدَ الأَذَانِ، وَبَيْنَ الأَذَانِ
وَالإِقامةِ، وَأدْبَارُ الصَّلواتِ المكتوباتِ، وَعِنْدَ صُعودِ
الإمامِ يَوْمَ الجُمُعَةِ على المِنْبَرِ حَتَّى تُقضى الصَّلاةُ مِنْ
ذَلِكَ اليَوْمِ، وَآخِرُ ساعةٍ بَعْدَ العَصْرِ.

* وصادفَ خُشوعًا في القَلْبِ، وانكِسارًا بَيْنَ يَدَيِ
الرَّبِّ، وَذُلًّا لَهُ، وَتَضَرُّعًا، وَرِقَّةً.

* واستَقْبَلَ الدَّاعي القِبْلَةَ.

* وكانَ على طَهارةٍ.

* وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلى اللَّهِ.

* وَبَدَأَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالثَّناءِ عَلَيْهِ.

* ثُمَّ نَسَى بِالصَّلاةِ على مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

* ثُمَّ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ حاجَتِهِ التَّوْبَةَ وَالاسْتِغْفارَ.

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُرَدُّ

* ثُمَّ دَخَلَ عَلَى اللَّهِ، وَأَلَّحَّ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَتَمَلَّقَهُ^(١).

* وَدَعَاهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً.

* وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيدِهِ.

* وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ دُعَائِهِ صَدَقَةً.

فَإِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يَكَادُ يُرَدُّ أَبَدًا.

* وَلَا سِيَّمَا إِنْ صَادَفَ الْأَدْعِيَةَ الَّتِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ

أَنَّهَا مَظْنَنَةٌ الْإِجَابَةِ، أَوْ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلْأَسْمِ الْأَعْظَمِ^(٢).



(١) أي: تَلَطَّفَ وَتَأَدَّبَ فِي دُعَائِهِ، وَسَيَّأَتِي مَزِيدَ بَيَانٍ لِدَلِيلِ ذَلِكَ (ص ٣١).

(٢) «الجواب الكافي» (ص ١٦-١٧).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

الأمر الأول:

«حُضُور القلب، واجتماعه على المطلوب».

فالأمرُ الأوَّلُ أن يدعُوَ المسلمُ بقلبٍ حاضرٍ، وحضور القلب: هو إقباله على الله ﷻ، فلا يكون دُعَاؤُهُ مجردَ حركاتٍ للسانٍ وقلبه غافلٌ، بل يحرك لسانه بالدعاء مع حضور القلب، ولهذا قال النبي ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ»^(١).

ومن علامات عدم حضور القلب في الدعاء كثرة الانشغال والحركة وقت الدعاء، فتجد لسانه يتحرك بالدعاء، ويده تعبت بالأرض أو بالثوب أو غير ذلك، أو تجده يلتفت ببصره يميناً وشمالاً وقت دعائه، وهذا كله لأن القلب لم يجتمع وقت الدعاء لله ﷻ.

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» رقم: (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٥٦٤).

الدُّعَاءُ الَّذِي يُدْعَى بِهِ

لذلك لَمَّا رَأَى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رجلاً يدعو الله ويديه حصيَّ يلعبُ بها؛ فقال له: «أَلَا أَلْقَيْتَ الْحَصَاةَ، وَأَخْلَصْتَ إِلَى اللَّهِ الدُّعَاءَ؟!»^(١).

وقد استجدَّ في زماننا هذا حَصَاةٌ مِنْ لَوْنٍ آخَرَ فِي أَيْدِي النَّاسِ فِي غَالِبِ أَوْقَاتِهِمْ، شَغَلَتْ الْقُلُوبَ أَكْثَرَ مِنْ الْأَيْدِي بِرَكَامِ كَبِيرٍ مِنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، فَلَمْ تَعُدْ تُحَسِّنُ الدُّعَاءَ وَالتَّضَرُّعَ وَالسُّؤَالَ، وَلِهَذَا يَجْدُرُ أَنْ يُقَالَ: «أَلَا أَغْلَقْتَ الْجَوَالَ وَأَخْلَصْتَ لِلَّهِ السُّؤَالَ؟!».

فَأَوَّلُ الْأُمُورِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ ﷻ دُعَاءَهُ أَنْ يُقْبَلَ بِقَلْبِهِ عَلَى اللَّهِ ﷻ وَقْتِ الدُّعَاءِ، وَأَنْ يَجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى جَمْعِ قَلْبِهِ وَفِكْرِهِ عَلَى مَطْلُوبِهِ وَحَاجَتِهِ، وَأَنْ لَا يُشْغَلَهُ بِغَيْرِ مَا يَدْعُو بِهِ رَبَّهُ ﷻ، فَإِنَّ الْقَلْبَ يَتَشَتَّتُ إِذَا أُهْمِلَ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْمَجَاهِدَةِ عَلَى جَمْعِهِ وَإِحْضَارِهِ وَقْتِ الدُّعَاءِ.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/٢٨٧).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

الأمر الثاني:

«تحرِّي أوقات الإجابة».

وقد عدّد منها الإمام ابن القيم رحمته الله ستة مواضع:

الأول: «الثلاث الأخير من الليل»: ويعتبرُ هذا الوقت من أحرى أوقات إجابة الدعاء، وأعظمها شأنًا؛ لما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فيقول: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(١).

فدلّ الحديثُ أن هذا الوقت العظيم المبارك من أحرى أوقات الإجابة، فينبغي لكلّ مسلم أن يجتهد في اغتنام هذا الخير، وأن يحرص كلّ الحرص على أن لا يفوت ليلةً إلا ويدعو الله ﷻ في هذا الوقت المبارك.

(١) «صحيح البخاري» رقم: (١١٤٥)، و«صحيح مسلم» رقم: (٧٥٨).

الدُّعَاءُ الَّذِي يُدْعَى بِهِ

الثاني: «عند الأذان» أي: بعد الأذان مباشرة، فإنَّ هذا وقتٌ عظيمٌ في تحري الدعاء .

وهو موضعٌ يختلفُ عن الموضع الثالث الآتي: «بين الأذان والإقامة»، فإنَّ النصوصَ دلَّت على أنَّ مَنْ استمع إلى الأذان، وردَّدَ خلفَ المؤذِّن، ثمَّ دعا بعد ذلك مباشرةً فإنَّ دعاءَهُ مُستجابٌ.

لما رواه عبدُ الله بن عمرو رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: «يا رسولَ اللهِ إِنَّ الْمُؤذِّنِينَ يَفْضَلُونَنَا - أي: سَبَقُونَا بِالْفَضْلِ - فقال النبيُّ ﷺ: «قُلْ كما يقولونَ فإذا انتهيتَ فَسَلْ تُعْطَهُ»^(١).

فدلَّ الحديث على ارتباط فضيلة هذا الدعاء بسماع الأذان وإجابة المؤذن.

فينبغي للمسلم إذا سمع الأذان وردَّدَ ألفاظَهُ مع

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (٥٢٤)، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود- الأم» رقم: (٥٣٧).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

المؤذّن وأتبعه بما جاءت به السنّة من الصلوة والسلام على النبي ﷺ، وسؤال الله الوسيلة والفضيلة له؛ ينبغي له أن لا يقف، بل يتبع ذلك بالدُّعاء بما أحبّ؛ فإنه وقتٌ عظيمٌ حريٌّ بالإجابة.

الثالث: «بين الأذان والإقامة»: وقد ورد في فضل الدعاء بين الأذان والإقامة مُطلقاً عدّة نصوص، منها قول النبيّ ﷺ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»^(١).

وقال النبيّ ﷺ: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ»^(٢).

فينبغي للمؤمن أن يستكثر لنفسه في هذا الوقت من الدعاء وطلب الخير من رب العالمين.

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (٥٢١)، والترمذي في «جامعه» رقم: (٢١٢)، وصحّحه الألباني في «الإرواء» رقم: (٢٢٤).

(٢) أخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم: (٥٢٤)، وصحّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٤١٣).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَأُ

الرابع: «أدبار الصلوات المكتوبة»: أي قبل السَّلام، فإنَّ هذا الوقتَ فاضلٌ، وحرِيٌّ بأن يُجابَ دُعاءُ الدَّاعي فيه؛ لأنَّه اجتمعتُ فيه العديد من أسباب إجابة الدعاء، فالْمُسْلِمُ يكونُ مُتَطَهَّرًا، ومُسْتَقْبَلًا لِلْقِبْلَةِ، وَيُكَبِّرُ اللهُ وَيُعْظِمُهُ وَيَتْلُو كَلَامَهُ، ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ خُضُوعًا وَذِلًّا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ، ثُمَّ إِذَا جَلَسَ لِلتَّشَهُدِ بَعْدَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ يَبْدَأُ بِتَحِيَّةِ اللهِ ﷻ وَتَعْظِيمِهِ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ»، وَبَعْدَهَا يَنْطِقُ بِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ ﷻ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَكْمَلِ الصَّلَوَاتِ؛ وَهِيَ الصَّلَاةُ الْإِبْرَاهِيمِيَّةُ؛ فَجَمِيعُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَوَاقِفِ الْعِبَادَةِ الْجَلِيلَةِ تَجْعَلُ هَذَا الْمَوْطِنَ مِنْ أَهَمِّ أَوْقَاتِ إِبْرَابَةِ اللهِ ﷻ لِدُعَاءِ السَّائِلِينَ الْمَصَلِّينَ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ فِي تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لِلتَّشَهُدِ فِي آخِرِهِ: «ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو»^(١).

(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» رقم: (٨٣٥)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٤٠٢)، واللفظ للبخاري.

الدُّعَاءُ الَّذِي يُدْعَى بِهِ

الخامس: «عند صعود الإمام يومَ الجُمُعَةِ على المنبرِ حتى تُقضى الصلاة»: وذلك لما صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ في الجُمُعَةِ لساعةً، لا يوافقها مسلمٌ، قائمٌ يُصَلِّي، يسألُ اللهَ خيرًا، إلا أعطاهُ إياه» وقال بيده: يُقَلِّلُهَا^(١).

وقد ذهبَ جماعةٌ من العلماء إلى أنَّ هذه الساعة من صعود الإمام على المنبر إلى أن ينتهي من صلاة الجمعة، وذلك لما أخرجه الإمام مسلمٌ في «صحيحه» عن أبي موسى الأشعريّ رضي عنه: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقضى الصلاة»^(٢).

وهذا الحديثُ رُوِيَ عن أبي موسى مرفوعًا إلى النبي ﷺ، ورُوِيَ موقوفًا عليه من كلامه، ولهذا رجَّح عددٌ من العلماء بأنَّ ساعة الإجابة تكون في هذا الوقت.

(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» رقم: (٦٤٠٠)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٨٥٢)، واللفظ له.

(٢) «صحيح مسلم» رقم: (٨٥٣).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

فينبغي للمسلم أن يحرص على التأمين عند دعاء الخطيب، وأن يعتني كذلك بالدعاء في صلاة الجمعة كثيرًا؛ لأنه تقدّم أن فضيلة هذه الساعة تمتدُّ إلى أن تُقضى الصلاة، لا سيما حال السُّجود، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ»^(١).

وكذلك يجتهدُ في الدعاء بعد التشهُد وقبل أن يسلم الإمام؛ فإنه من مواطنِ إجابة الدعاء - كما تقدّم -.

السادس: «**آخر ساعة بعد العصر**»: أي: الساعة الأخيرة بعد العصر إلى أن تغربَ الشمسُ من يوم الجمعة، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لَا يُوجَدُ مُسَلِّمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ **عَلَيْهِ** شَيْئًا، إِلَّا أَنَاهُ اللَّهُ **عَلَيْهِ**، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»^(٢).

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» رقم: (٤٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (١٠٤٨)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود- الأم» رقم: (٩٦٦).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُرَدُّ

لذلك ذكر العلامةُ ابن القيم رحمته الله في كتابه «زاد المعاد» أنَّ أَرْجَحَ وأَرْجَى الأقوال في تحديد الساعة الفاضلةِ يومَ الجمعة التي لا يُرَدُّ فيها الدُّعاء: القولان السابقان؛ الأوَّل: عند صعود الإمام على المنبرِ إلى أن تفرغ الصلاة، والثاني: آخر ساعة بعد العصر إلى أن تغرب الشمس من يوم الجمعة^(١).

فعلى العبدِ الناصحِ لنفسِهِ أن لا يُفَوِّتَ هذين الوقتين الفاضلين، بل يجتهد فيهما بالدُّعاء والطلب، ويخصَّهما بمزيدِ عنايةٍ؛ ليدركَ الخيرَ الذي يطلبُهُ ويؤمِّله من رب العالمين.



(١) «زاد المعاد» (١/٣٧٧).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

الأمر الثالث:

«خشوع القلب وانكساره بين يدي ربِّه **عَلَيْكَ ذُلًّا**
وتضرُّعًا».

هذا الأمر الذي ذكره الإمام ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** مهمٌّ للغاية في باب الدعاء وفي غيره من العبادات، فمن تحقيق العبودية أن يكون العبد متضرُّعًا ومتذللاً إلى خالقه ومولاه **عَلَيْكَ**، لا سيما وقت الدعاء والطلب، كما قال تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

قال الطبري **رَحِمَهُ اللهُ** في «تفسيره»: ﴿تَضَرُّعًا﴾ أي: تَذَلُّلاً واستِكانَةً لطاعته، و﴿وَخُفْيَةً﴾ أي: بخشوع قلوبكم^(١).
فينبغي أن يعتلي حال الدَّاعي التَّخَشُّعُ والانكسارُ عند سؤاله ربِّه، وأن يُناجيه بصوتٍ خافتٍ بخشوعٍ

(١) «جامع البيان في تفسير القرآن» (١٠/٢٤٧).

الدُّعَاءُ الَّذِي يُدْعَى بِهِ

وأدبٍ، ولهذا لَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ بعضًا من الصَّحَابَةِ الْمُعْتَمِرِينَ يرفعون أصواتهم بالذكر والدعاء قال لهم: «أيتها الناس ازْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»^(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه كراهية رفع الصَّوْتِ بِالذُّعَاءِ وَالذِّكْرِ، وَبِهِ قَالَ عَامَّةُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ»^(٢).

وَبَوَّبَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: «اسْتِحْبَابُ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ إِلَّا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي وَرَدَ الشَّرْعُ بِرَفْعِهِ فِيهَا»^(٣).



(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٢٩٩٢)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٢٧٠٤)، واللفظ له.
(٢) «فتح الباري» (٦/١٣٥).
(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٢٥/١٧).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

الأمر الرابع:

«استقبال القبلة وقت الدعاء».

استقبال القبلة يعتبر من الآداب الجليلة للدُّعَاءِ، التي تدلُّ على تعظيم الدَّاعي لشأن الدعاء واهتمامه به. ولهذا صحَّ عن النبي ﷺ في مواضع عديدة أنه استقبل ودعا، كما حصل في غزوة بدر حين رأى ﷺ كثرة عدد المشركين على عدد المسلمين، فاستقبل نبيَّ الله ﷺ القبلة، ثمَّ مَدَّ يديه^(١).

وذلك أن استقبال الداعي للقبلة من الأسباب التي يُرَجَى معها أن يُسْتَجَابَ دُعاؤه، فليس هو من شروط الدعاء وإنَّما من آدابه الحميدة.



(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» رقم: (١٧٦٣).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

الأمر الخامس:

«الطهارة عند الدعاء».

الطهارة من آداب الدُّعَاءِ أَيضًا، فَلَا شَكَّ أَنَّ الدَّاعِيَ إِذَا كَانَ عَلَى طَهَارَةٍ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ وَأَتَمُّ لِدَعَائِهِ وَمَنَاجَاتِهِ لِلَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّ حَالَةَ الْوُضُوءِ مُطْلَقًا أَكْمَلُ مِنْ حَالِ الْحَدَثِ.

فَعَنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ قُنْفُذٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، حَتَّى تَوَضَّأَ فَرَدَّ عَلَيْهِ، وَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكَرَ اللَّهَ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ»^(١).



(١) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (١٧)، وأحمد في «مسنده» رقم:

(١٩٠٣٤) واللفظ له، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (٨٣٤).

الدُّعَاءُ الَّذِي يُدْعَى بِهِ

الأمر السادس:

«رفع اليدين عند الدعاء».

فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ ﷻ حَيِّي كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(١).

فإنَّ الله ﷻ الغنيُّ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا؛ أي: خَائِبَتَيْنِ، وذلك لِأَنَّ هَيْئَةَ رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِلَى السَّمَاءِ - بِجَعْلِ بَطُونِهِمَا إِلَى السَّمَاءِ أَوْ مُقَابِلِ الْوَجْهِ - تُعَدُّ هَيْئَةَ افْتِقَارٍ وَتَذَلُّلٍ وَانْكَسَارٍ، وَإِظْهَارٍ لِلْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ، فَكَانَتْ لِذَلِكَ سَبَبًا لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ.

والأحاديث التي فيها رفع النبي ﷺ ليديه عند الدعاء كثيرة، بل كان ﷺ يُبَالِغُ فِي رَفْعِ يَدَيْهِ فِي الشَّدَائِدِ

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (١٤٨٨)، وصحَّحه الألباني في «صحيح

أبي داود - الأم -» رقم: (١٣٣٧).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

والكُربُ أكثر من غيرهما، كما تقدّم في غزوة بدر حين رأى ﷺ كثرة عدد المشركين على عدد المسلمين، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلة، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ ودعا ربّه ﷻ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فما زال يَهْتَفُ بِرَبِّهِ، مادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حتّى سَقَطَ رِداؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ»^(١).

وكذا في حال القَحَطِ عندما دعا ﷺ على المنبر للاستسقاء، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ يرفعُ يَدَيْهِ في الدُّعَاءِ، حتّى يُرى بياضُ إبطَيْهِ»^(٢).



(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» رقم: (١٧٦٣).

(٢) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» رقم: (١٠٣٠)، ومسلم في «صحيحه»

رقم: (٨٩٥)، واللفظ لمسلم.

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

الأمر السابع:

«البدأةُ بحمد الله وتمجيده ثم الصلاة على نبيه
محمد ﷺ قبل الدعاء».

فَعَنْ فُضَالَةَ بْنِ عَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَجَلْ هَذَا»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ وَعَلَّانَ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّيْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدَ مَا شَاءَ»^(١).

فالأكمل للمسلم إذا شرع في الدعاء أن يُقدِّم بين يدي دعائه ثناء الله وتمجيده وحمده ﷻ، ثم يُسْئِلُ بالصلاة والسلام على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد ذلك ويسأل ربه بما أحب.

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (١٤٨١)، والترمذي في «جامعه» رقم:

(٣٤٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود - الأم» رقم: (١٣٣١).

الدُّعَاءُ الَّذِي يُبْرَرُ

وبهذا نعلمُ وَجْهَ فَضْلِ الدُّعَاءِ بعد سماع الأذان،
وفضلهِ بعد التشهد الأخير في الصلاة - كما تقدّم -، فإنَّ
كِلَا الموضعين يَسْبِقُهُ ثناءٌ وتعظيمٌ لله ﷻ، وصلاةٌ على
رسوله محمّد ﷺ، فناسبَ أن يكون الدُّعَاءُ بعدهما من
مواطنِ الإجابة^(١).



(١) انظر: ص (١٤-١٦).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُجِبُّهُ

الأمْر الثامن:

«التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ بَيْنَ يَدَيْ الدُّعَاءِ».

فَإِنَّ الذُّنُوبَ مِنَ الْمَوَانِعِ وَالْحَوَاجِزِ الْمُؤَثِّرَةِ عَلَى إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، كَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ: «الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ، أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ؛ يَا رَبِّ، يَا رَبِّ»، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَاتَى يُسْتَجَابُ لَذَلِكَ؟!»^(١).

فهذا الرَّجُلُ قد توفَّر في دُعائه عددٌ من أسباب الإجابة؛ فقد دعا ربَّه وهو مسافرٌ، ورفع يديه للسَّماءِ، لكنَّه لم يستعفف عن الحرام، فملبسه ومطعمه ومشربه من الحرام، فكان ذلك حاجزًا ومانعًا من إجابة دعائه.

وقد قال أحدُ السَّلَفِ: «لَا تَسْتَبِطَنَّ الإِجَابَةَ إِذَا دَعَوْتَ؛ وَقَدْ سَدَدَتْ طُرُقَهَا بِالذُّنُوبِ»^(٢).

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» رقم: (١٠١٥).

(٢) أخرجه البيهقيُّ في «شعب الإيمان» رقم: (١١٥٤).

الدُّعَاءُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ

ولهذا كان النبي ﷺ يستغفرُ الله ويتوبُ إليه في اليوم مائة مرّة، ويحثُّ أمتهُ على ذلك، فيقول: «يا أيها الناس! توبوا إلى الله، فإنِّي أتوبُ في اليوم إليه مائة مرّة»^(١).

فينبغي على المؤمن النَّاصِحِ لِنَفْسِهِ، أن يُكثِرَ من الاستغفار والتَّوبَةِ، مع الإقرارِ والاعترافِ بالذَّنْبِ، والنَّدَمِ عليه، والعزمِ على عَدَمِ العودَةِ إليه، لا سيِّما بين يدي دُعَائِهِ لِرَبِّهِ ﷻ، فإنَّ ذلك سببٌ لتوبة الله عليه، وأدعى لإجابة دعائه، وإعطائه سُؤْلَهُ.



(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» رقم: (٢٧٠٢).

الدُّعَاءُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ

الأمْر التَّاسِعُ:

«الإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ وَعَدَمُ اسْتِعْجَالِ الإِجَابَةِ».

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»^(١).

فَمِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ الْعَظِيمَةِ: الإِلْحَاحُ بِالطَّلَبِ، وَتَكَرُّرُ الدُّعَاءِ، وَمَدَاوِمَةُ السُّؤَالِ، مَعَ تَحَرِّيِ الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ، فَمَنْ أَدْمَنَ قَرَعَ الْأَبْوَابَ أَوْشَكَ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ دُعَاءَ أَوْلِي الْأَبَابِ فِي خَوَاتِيمِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ كَيْفَ أَنَّهُمْ أَعَادُوا قَوْلَ: «رَبَّنَا» خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي دُعَائِهِمْ، فَجَاءَ فِي خَتَامِهَا قَوْلُهُ عَلَيْكَ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٦٣٤٠)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٢٧٣٥)، واللفظ له.

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَأُ

وينبغي للعبد أن لا يستعجلَ الإجابة؛ فإنَّ استعجالَ الإجابة آفةٌ من الآفات التي تمنعُ ترتبَ أثرِ الدُّعاء عليه، فإنَّ المُستعجلَ عندما يَسْتَبْطِئُ الإجابةَ يَسْتَحْسِرُ وَيَدْعُ الدُّعاءَ غالبًا، ويكون حاله كحالِ مَنْ بذرَ بذرًا، أو غرسَ غرسًا، فجعلَ يتعاهدهُ ويسقيه، فلَمَّا استَبْطَأَ كماله وثمره تركه وأهمله، ولم يحصلَ مطلوبه منه^(١).

وقد نبه الإمام ابن القيم في هذا الموطنِ على فائدةٍ لطيفةٍ بقوله: «وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَتَمَلَّقَهُ»، والتَّمَلَّقُ: هو التَّلَطُّفُ والتَّوَدُّدُ في الطلب^(٢)، فيشيرُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ بِهَذَا إِلَى أَنَّ الإلحاحَ بالدُّعاء يكون بتلطفٍ، وأدبٍ، وإظهارِ الافتقارِ والحاجةِ لله ربِّ العالمين.



(١) انظر: «الجواب الكافي» لابن القيم ص (١٥).

(٢) انظر: «الصحاح تاج اللغة» للفارابي (٤/١٥٥٦)، و«القاموس المحيط»

للفيروز آبادي (ص ٩٢٤).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

الأمر العاشر:

«أن يجمعَ في دُعائه بين الرَّغبة والرَّهبة».

الجمعُ بين الرَّغبة والرَّهبة أمرٌ مهمٌ للغاية في باب الدعاء وفي غيره من العبادات، فإنَّ المؤمنَ ينبغي أن يكون في عباداته بين الرَّغبة والرَّهبة، وبين الخوف والرجاء، ولهذا لما ذكرَ الله ﷻ قصصَ النَّبِيِّينَ ﷺ في سورة الأنبياء، وكيف أنجاهم ﷻ من الكُروبِ والمِحْنِ، ختم ذلك بقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فيجمعون في دعائهم بين الرغبة والرَّهبة؛ والرَّغبة: هي الطمع فيما عند الله ﷻ، فيسألُ الدَّاعي ربَّه وهو طامعٌ في فضلهِ ومنَّه ﷻ، والرَّهبة: هي الخوف من غضبه، ومن أليم عقابه.

وعندما ذكرَ الله ﷻ صفات المؤمنين الكَمَلِّ قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، فهم

الدُّعَاءُ الَّذِي دُعِيَ بِهِ

يجتهدون في العبادة لنيلِ المَثُوبَةِ مِنْ ربِّ العالمين، ومع ذلك قلوبهم خائفةٌ من عدمِ قبولِ أعمالهم، فيجمعون في عبادتهم بين الرغبة والرغبة.

ومثلهُ ما جاء في دعاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام عندما أمره الله جلَّ جلاله أن يبني بيت الله الحرام، فكان عليه السلام يدعو: ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وهو من أولي العزم من الرُّسل، واتَّخِذَهُ اللهُ خَلِيلًا، وقيامه بعمل من أشرف الأعمال؛ وهو عمارة بيت الله الحرام، ومع ذلك يدعو الله جلَّ جلاله بإشفاقٍ أن يتقبَّلَ منه هذا العمل. ولهذا عندما تلا وهيبُ بنُ وَرْدٍ رحمته الله هذه الآية بكى وقال: «يا خليل الرحمن، ترفعُ قوائِمَ بيتِ الرَّحمنِ وأنتَ مُشْفِقٌ أن لا يتقبَّلَ منك!»^(١).



(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/٢٤٧).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

الأمر الحادي عشر:

«التوسُّلُ لِهٰٓءِ اللّٰهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيدِهِ».

التوسُّلُ إِلَى اللّٰهِ بِعَلَمِكَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ يُعْتَبَرُ مِنْ أَعْظَمِ
الْوَسَائِلِ فِي إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَقَدْ أَمَرَ اللّٰهُ ﷻ بِهِ فَقَالَ: ﴿وَلِلّٰهِ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ولهذا كانت عامَّةُ الأَدْعِيَةِ المأثُورَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
وَالْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ تُشْتَمِلُ عَلَى التَّوَسُّلِ إِلَى اللّٰهِ ﷻ بِأَسْمَائِهِ
وَصِفَاتِهِ، فَيَشْتَمِلُ الدُّعَاءُ عَلَى مَا يُنَاسِبُهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللّٰهِ ﷻ
وَصِفَاتِهِ، كَمَا جَاءَ فِي دُعَاءِ نَبِيِّ اللّٰهِ شَعِيبَ ﷺ: ﴿رَبَّنَا
أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وَجَاءَ فِي دُعَاءِ رَسُولِ اللّٰهِ عِيسَى ﷺ: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي عَلَّمَهُ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ:
«اللّٰهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

الدُّعَاءُ الَّذِي يُدْعَى بِهِ

إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(١).

بل كان النبي ﷺ يعلم أمته أن يتوسلوا إلى الله ﷻ
بعموم أسمائه الحسنی، فقال ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ
هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ
أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضَرَّ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِيَّ
قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ
عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ
بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ
صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ
وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا»، فقيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا
نَتَعَلَّمُهَا؟ فقال: «بلى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٨٣٤)، ومسلم في «صحيحه» رقم:
(٢٧٠٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» رقم: (٣٧١٢)، وصححه الألباني في
«السلسلة الصحيحة» رقم: (١٩٩).

الدُّعَاءُ الَّذِي يُبْرَرُ

وقول الإمام ابن القيم رحمته الله: «توحيد»؛ أي: يُشْرَعُ وَيُنْدَبُ التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِهِذِهِ الْوَسِيلَةِ الْعَظِيمَةِ، وَهِيَ تَوْحِيدُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ ﷻ، فَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْوَسَائِلِ؛ بَلْ هِيَ أَعْظَمُهَا وَأَجْلُهَا.

ومن شواهد هذا التوسُّل ما ذكره الله ﷻ من دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

ولَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْأَسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»^(١).

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (١٤٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود- الأم» رقم: (١٣٤١).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

الأمر الثاني عشر:

«التَّصَدَّقُ بَيْنَ يَدَيِ الدُّعَاءِ».

الصَّدَقَةُ لَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»^(١)، وَلَا شَكَّ أَنَّ زَوَالَ غَضَبِ الرَّحْمَنِ ﷻ عَنِ الْعَبْدِ سَبَبٌ لِإِجَابَةِ دَعَائِهِ، وَإِعْطَائِهِ سُؤْلَهُ.

وَهِيَ أَيْضًا مِنْ جَمَلَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يُشْرَعُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَوَسَّلَ بِهَا إِلَى اللَّهِ ﷻ.



(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» رقم: (٨٠١٤)، وصححه الألباني في

«السلسلة الصحيحة» رقم: (١٩٠٨) بمجموع شواهده.

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

الأمر الثالث عشر:

«تحرّي الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أن الدعاء معها مستجاب».

فالمسلم إذا تحرّى هذه الدعوات المأثورة، ودعا بها بصِدْقٍ وإقبالٍ وإلحاحٍ مع استحضار جميع الأمور السابقة، فإنّ دعاءه لا يكاد يُرَدُّ أبدًا.

ومن أمثلة هذه الأدعية قول النبي ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بطنِ الحوتِ: «لا إله إلا أنت سبحانك، إنني كنت من الظالمين»؛ فإنه لم يدعُ بها رجلٌ مُسَلِّمٌ في شيءٍ قطُّ إلا استجابَ الله له»^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول في دعائه: «اللهم إنني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المَنَّانُ، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» رقم: (٣٥٠٥)، وصححه الألباني في

«تخريج الكلم الطيب» رقم: (١٢٢).

الدُّعَاءُ الَّذِي لَا يُبْرَدُ

والإكرام، يا حَيِّي يا قَيُّومُ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لقد دعا الله باسمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).

وتقدّم قريباً دعاءَ الرجل الذي توسّل إلى الله بتوحيده وإيمانه به، فقال له النبي ﷺ: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وإذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ».

فهذه جملة الضوابط والآداب في الدعاء التي أوردتها الإمام ابن القيم رحمته الله، فينبغي على كلِّ مسلمٍ أن يجتهدَ في تحرّيقها في دعائه، فإنّها متى ما اجتمعت فيه فإنه كما ذكر الإمام ابن القيم رحمته الله: «فإنّ هذا الدعاء لا يكاد يُرَدُّ أبداً».

ونسأل الله تعالى أن يُصلِحَ لنا ديننا الَّذِي هو عِصْمَةٌ أمرنا، وأن يُصلِحَ لنا دُنْيَانَا التي فيها معاشنا، وأن يُصلِحَ

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (١٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود-الأم- رقم: (١٣٤٢).

الدُّعَاءُ الَّذِي يُبْرِئُ

لنا آخرتنا التي إليها معادنا، وأن يجعلَ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، والموتَ راحةً لنا من كلِّ شرٍّ.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) أصل هذه الرسالة محاضرة أُقيمت في مجلس إبراهيم الوقيصي رحمته الله في المدينة النبوية، في يوم الاثنين الموافق ٢٤ / ٦ / ١٤٤١هـ، فقام بعض الإخوة بتفريغها، وإعدادها للطباعة، وقُمتُ بمراجعتها وتصحيحها، وزدتُ فيها بعض الزيادات والفوائد، والله أسأل أن يجزي خيراً كلَّ من شارك في إخراج هذا العمل وطباعته ونشره بين المسلمين.



لتحميل نسخة من الكتاب
امسح على الباركود عبر برامج QR

مقروءة



صوتية

